هو العليم

نص حديث العنوان البصريّ

البرنامج السلوكيّ الأهمّ لدى السيّد القاضي قدّس الله سرّه

إعداد: الفريق العلمي في موقع مدرسة الوحي

المصدر: «الروح المجرّد»، لآية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

رضوان الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم‏

و صلّى الله على محمّد و آله الطاهرين‏

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين‏

و لا حول و لا قوّة إلا بالله العليّ العظيم‏

حسبنا الله و نعم الوكيل، نعم المولى و نعم النصير

العمل برواية عنوان البصريّ كان أمراً أساسيّاً من أوامر المرحوم القاضيّ‏

لقد كان المرحوم الاستاذ الكبير، عارف القرن الذي لا نظير له، بل هو حسب تعبير استاذنا سماحة الحاجّ السيّد هاشم: «لم يأت منذ صدر الإسلام حتّى الآن في مثل شمول و جامعيّة المرحوم القاضيّ»، كان قد أصدر تعليماته لتلامذته و مريديه في السير و السلوك إلى الله، أن يكتبوا رواية عنوان البصريّ و يعملوا بها من أجل تخطّى النفس الأمّارة و الرغبات المادّيّة و الطبعيّة و الشهويّة و الغضبيّة التي تنشأ غالباً من الحقد و الحرص و الشهوة و الغضب و الإفراط في الملذّات.

أي إ نّ العمل وفق مضمون هذه الرواية كان أمراً أساسيّاً و مهمّاً. و كان يقول مضافاً إلى ذلك: ينبغي أن تحتفظوا بها في جيوبكم و تطالعونها مرّة أو مرّتين كلّ اسبوع. فهذه الرواية تحظى بالاهمّيّة الكبيرة و تحوي مطالب شاملة و جامعة في بيان كيفيّة المعاشرة و الخلوة، و كيفيّة و مقدار تناول الغذاء، و كيفيّة تحصيل العلم، و كيفيّة الحلم و مقدار الصبر و الاستقامة و تحمّل الشدائد أمام أقوال الطاعنين؛ و أخيراً مقام العبوديّة و التسليم و الرضا و الوصول إلى أعلى ذروة العرفان وقِمّة التوحيد.

لذا، فلم يكن المرحوم القاضي ليقبل تلميذاً لا يلتزم بمضمون هذه الرواية. و هذه الرواية منقولة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، و قد ذكرها المجلسيّ في كتاب «بحار الأنوار».

النصّ الكامل لرواية عنوان البصريّ‏

و لمّا كانت تمثّل برنامجاً عمليّاً شاملًا نُقِلَ عن ذلك الإمام الهمام، لذا نوردها بألفاظها و عباراتها بلا تصرّف ليستفيد منها مُحبّو و عشّاق السلوك إلى الله تعالى:

أقُوُلُ: وَجَدْتُ بِخَطِّ شَيْخِنَا البَهَائِيّ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ مَا هَذَا لَفْظُهُ:

قَالَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيّ: نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الشَّيْخِ أحْمَدَ الفَرَاهَانِيّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عِنْوَانِ[[1]](#footnote-1) البَصْرِيّ- وكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ أتَى عَلَيهِ[[2]](#footnote-2) أرْبَعٌ وَ تِسْعُونَ سَنَةً- قَالَ: كُنْتُ أخْتَلِفُ إلى مَالِكِ بْنِ أنَسٍ سِنِينَ، فَلَمَّا قَدِمَ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ عَلَيهِ السَّلَامُ المَدينَةَ اخْتَلَفْتُ إلَيْهِ، وَ أحْبَبْتُ أنْ آخُذَ عَنْهُ كَمَا أخَذْتُ عَنْ مَالِكٍ.

فَقَالَ لِي يَوْماً:

«إنِّي رَجُلٌ مَطْلُوبٌ وَ مَعَ ذَلِكَ لِي أ وْرَادٌ في كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ آنَاءِ اللَيْلِ وَ النَّهَارِ، فَلَا تَشْغَلْنِي عَنْ وِرْدِي؛ وَ خُذْ عَنْ مَالِكٍ وَ اخْتَلِفْ إلَيْهِ كَمَا كُنْتَ تَخْتَلِفُ إلَيْهِ»

فَاغْتَمَمْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَ قُلْتُ في نَفْسِي: لَوْ تَفَرَّسَ في خَيْراً لَمَا زَجَرَنِي عَنِ الاخْتِلَافِ إلَيْهِ وَ الأخْذِ عَنْهُ.

فَدَخَلْتُ مَسْجِدَ الرَّسُولِ صلّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمْتُ عَلَيهِ ثُمَّ رَجَعْتُ مِنَ الغَدِ إلى الرَّوْضَةِ [[3]](#footnote-3) وَ صلّيتُ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ وَ قُلْتُ: أسْألُكَ يَا اللهُ يَا اللهُ! أ نْ تَعْطِفَ عَلَيّ قَلْبَ جَعْفَرٍ وَ تَرْزُقَنِي مِنْ عِلْمِهِ مَا أهْتَدِي بِهِ إلى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ!

وَ رَجَعْتُ إلى دَارِي مُغْتَمَّاً وَ لَمْ أخْتَلِفْ إلى مَالِكِ بْنِ أنَسٍ لِمَا اشْرِبَ قَلْبِي مِنْ حُبِّ جَعْفَرٍ. فَمَا خَرَجْتُ مِنْ دَارِي إلَّا إلى الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ حتّى عِيلَ صَبْرِي.

فَلَمَّا ضَاقَ صَدْرِي تَنَعَّلْتُ وَ تَرَدَّيْتُ وَ قَصَدْتُ جَعْفَراً وَ كَانَ بَعْدَ مَا صلّى تُ العَصْرَ. فَلَمَّا حَضَرْتُ بَابَ دَارِهِ اسْتَأذَنْتُ عَلَيهِ فَخَرَجَ خَادِمٌ لَهُ فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟! فَقُلْتُ: السَّلَامُ على الشَّرِيفِ!

فَقَالَ: هُوَ قَائِمٌ في مُصَلَّاهُ. فَجَلَسْتُ بِحِذاءِ بَابِهِ، فَمَا لَبِثْتُ إلَّا يَسِيراً. إ ذْ خَرَجَ خَادِمٌ فَقَالَ: ا دْخُلْ على بَرَكَةِ اللهِ. فَدَخَلْتُ وَ سَلَّمْتُ عَلَيهِ. فَرَدَّ السَّلَامَ وَ قَالَ:

«اجْلِسْ غَفَرَ اللهُ لَكَ»!

فَجَلَسْتُ. فَأطْرَقَ مَلِيَّاً، ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ وَ قَالَ: «أبُو مَنْ»؟!

قُلْتُ: أبُو عَبْدِ اللهِ!

قَالَ: «ثَبَّتَ اللهُ كُنْيَتَكَ وَ وَفَّقَكَ؛ يَا أبَا عَبْدِ اللهِ! مَا مَسْألَتُكَ»؟!

فَقُلْتُ في نَفْسِي: لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ زِيَارَتِهِ وَ التَّسْلِيمِ غَيْرُ هَذَا الدُّعَاءِ لَكَانَ كَثِيراً. ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ ثُمَّ قَالَ: مَا مَسْألَتُكَ؟!

فَقُلْتُ: سَألْتُ اللهَ أ نْ يَعْطِفَ قَلْبَكَ عَلَيّ وَ يَرْزُقَنِي مِنْ عِلْمِكَ؛ وَ أ رْجُو أ نَّ اللهَ تعالى أجَابَنِي في الشَّرِيفِ مَا سَألْتُهُ.

فَقَالَ: «يَا أبَا عَبْدِ اللهِ! لَيْسَ العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، إنَّمَا هُوَ نُورٌ يَقَعُ في قَلْبِ مَنْ يُرِيدُ اللهُ تَبَارَكَ وَ تعالى أ نْ يَهْدِيَهُ؛ فَإنْ أرَدْتَ العِلْمَ فَاطْلُبْ أوَّلًا في نَفْسِكَ حَقِيقَةَ العُبُودِيَّةِ، وَ اطْلُبِ العِلْمَ بِاسْتِعْمَالِهِ، وَ اسْتَفْهِمِ اللهَ يُفْهِمْكَ»!

قُلْتُ: يَا شَرِيفُ! فَقَالَ: «قُلْ: يَا أبَا عَبْدِ اللهِ»!

قُلْتُ: يَا أبَا عَبْدِ اللهِ! مَا حَقِيقَةُ العُبُودِيَّةِ؟!

قَالَ: «ثَلَاثَةُ أشْيَاءَ: أ نْ لَا يَرَى العَبْدُ لِنَفْسِهِ فِيمَا خَوَّلَهُ اللهُ مِلْكاً، لأنَّ العَبِيدَ لَا يَكُونُ لهم مِلْكٌ؛ يَرَوْنَ المَالَ مَالَ اللهِ يَضَعُونَهُ حَيْثُ أمَرَهُمُ اللهُ بِهِ. وَ لَا يُدَبِّرَ العَبْدُ لِنَفْسِهِ تَدْبِيراً. وَ جُمْلَةُ اشْتِغَالِهِ فِيمَا أمَرَهُ تعالى بِهِ وَ نَهَاهُ عَنْهُ.

فَإذَا لَمْ يَرَ العَبْدُ لِنَفْسِهِ فِيمَا خَوَّلَهُ اللهُ تعالى مِلْكاً، هَانَ عَلَيهِ الإنْفَاقُ فِيمَا أمَرَهُ اللهُ تعالى أ نْ يُنْفِقَ فِيهِ. وَ إذَا فَوَّضَ العَبْدُ تَدْبِيرَ نَفْسِهِ على مُدَبِّرِهِ، هَانَ عَلَيهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا. وَ إذَا اشْتَغَلَ العَبْدُ بِمَا أمَرَهُ اللهُ تعالى وَ نَهَاهُ، لَا يَتَفَرَّغُ مِنْهُمَا إلى المِرَاءِ وَ المُبَاهَاةِ مَعَ النَّاسِ.

فَإذَا أكْرَمَ اللهُ العَبْدَ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ هَانَ عَلَيهِ الدُّنْيَا، وَ إبْلِيسُ، وَ الخَلْقُ. وَ لَا يَطْلُبُ الدُّنْيَا تَكَاثُراً وَ تَفَاخُراً، وَ لَا يَطْلُبُ مَا عِنْدَ النَّاسِ عِزَّاً وَ عُلُوَّاً، وَ لَا يَدَعُ أيَّامَهُ بَاطِلًا.

فَهَذَا أوَّلُ دَرَجَةِ التُّقَى؛ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَ تعالى:

{تِلْكَ الدَّارُ الأخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأرْضِ‏ وَ لَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.[[4]](#footnote-4)

قُلْتُ: يَا أبَا عَبْدِ اللهِ! أ وْصِنِي!

قَالَ: «اوصِيكَ بِتِسْعَةِ أشْيَاءَ، فَإنَّهَا وَصِيَّتِي لِمُرِيدِي الطَّرِيقِ إلى اللهِ تعالى؛ وَ اللهَ أسْألُ أ نْ يُوَفِّقَكَ لِاسْتِعْمَالِهِ.

ثَلَاثَةٌ مِنْهَا في رِيَاضَةِ النَّفْسِ، وَ ثَلَاثَةٌ مِنْهَا في الحِلْمِ، وَ ثَلَاثَةٌ مِنْهَا في العِلْمِ. فَاحْفَظْهَا؛ وَ إيَّاكَ وَ التَّهَاوُنَ بِهَا»!

قَالَ عِنْوَانٌ: فَفَرَّغْتُ قَلْبِي لَهُ.

فَقَالَ: «أمَّا اللَوَاتِي في الرِّيَاضَةِ:

فَإيَّاكَ أ نْ تَأكُلَ مَا لَا تَشْتَهِيهِ، فَإنَّهُ يُورِثُ الحَمَاقَةَ وَ البَلَهَ. وَ لَا تَأكُلْ إلَّا عِنْدَ الجُوعِ. وَ إذَا أكَلْتَ فَكُلْ حَلَالًا وَ سَمِّ اللهَ، وَ اذْكُرْ حَدِيثَ الرَّسُولِ صلّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ: مَا مَلأ آدَمِيّ وِعَاءً شَرَّاً مِنْ بَطْنِهِ. فَإنْ كَانَ وَ لابُدَّ فَثُلْثٌ لِطَعَامِهِ وَ ثُلْثٌ لِشَرَابِهِ وَ ثُلْثٌ لِنَفَسِهِ.[[5]](#footnote-5)

وَ أمَّا اللَوَاتِي في الحِلْمِ:

فَمَنْ قَالَ لَكَ: إ نْ قُلْتَ وَاحِدَةً سَمِعْتَ عَشْراً، فَقُلْ: إ نْ قُلْتَ عَشْراً لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً. وَ مَنْ شَتَمَكَ فَقُلْ لَهُ: إ نْ كُنْتَ صَادِقاً فِيمَا تَقُولُ فَأسْألُ اللهَ أ نْ يَغْفِرَ لِي؛ وَ إ نْ كُنْتَ كَاذِباً فِيمَا تَقُولُ فَاللهَ أسْألُ أ نْ يَغْفِرَ لَكَ.

وَ مَنْ وَعَدَكَ بِالخَنَى فَعِدْهُ بِالنَّصِيحَةِ وَ الرَّعَاءِ.

وَ أمَّا اللَوَاتِي في العِلْمِ:

فَاسْألِ العُلَمَاءَ مَا جَهِلْتَ؛ وَ إيَّاكَ أ نْ تَسْألَهُمْ تَعَنُّتاً وَ تَجْرِبَةً. وَ إيَّاكَ‏ أنْ تَعْمَلَ بِرَأيِكَ شَيْئاً؛ وَ خُذْ بِالاحْتِيَاطِ في جَمِيعِ مَا تَجِدُ إلَيْهِ سَبِيلًا. وَا هْرَبْ مِنَ الفُتْيَا هَرْبَكَ مِنَ الأسَدِ؛ وَ لَا تَجْعَلْ رَقَبَتَكَ لِلنَّاسِ جِسْراً!

قُمْ عَنِّي يَا أبَا عَبْدِ اللهِ! فَقَدْ نَصَحْتُ لَكَ، وَ لَا تُفْسِدْ عَلَيّ وِرْدِي؛ فَإنِّي امْرُءٌ ضَنِينٌ بِنَفْسِي {وَ السَّلَامُ على مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَي} ».[[6]](#footnote-6)

1. يقول في «أقرب الموارد»: عَنْوَنَ الكِتَابَ عَنْوَنَةً: كَتَبَ عُنْوَانَهُ؛ وَ يُقَالُ: عَنْوَنَهُ وعَنَّهُ وعَنَّنَهُ وعَنَّاهُ. وَ الاسْمُ: العُنْوَانُ؛ عُنْوَانُ الكِتَابِ وَ عِنْوَانُهُ وَ عُنْيَانُهُ وَ عِنْيَانُهُ: سِمَتُهُ وَ دِيبَاجَتُهُ؛ سُمِّيَ بِهِ لأنَّهُ يَعِنُّ لَهُ مِنْ نَاحِيَتِهِ. وَ أصْلُهُ عُنَّانُ كَرُمَّانِ. وُ كُلُّ مَا اسْتَدْلَلْتَ بِشَي‏ءٍ يُظْهِرُكَ عَلَي غَيْرِهِ فَعُنوَانٌ لَهُ؛ يُقَالُ: «الظَّاهِرُ عُنْوَانُ البَاطِن». [↑](#footnote-ref-1)
2. يقول في «أقرب الموارد»: أتَا- ض- أتْياً وَ إتْيَاناً و إتْيَانَةً؛ وَ مأتَاةً وَ اتِيَّاً (وَ يُكْسَرُ) عَلَي الشَّي‏ءِ: أنْفَدَهُ وَ بَلَغَ آخِرَهُ وَ مَرَّ بِهِ؛ وَ- عَلَيهِ الدَّهْرُ: أهْلَكَهُ. [↑](#footnote-ref-2)
3. المقصود بالروضة: الموضع الواقع بين القبر المطهّر للرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله و منبره. روى الكلينيّ في «فروع الكافي»، ج ٤، ص ٥٥٣ و ٥٥٤، كتاب الحجّ، باب المنبر و الروضة و مقام النبيّ، طبعة دار الكتب الإسلاميّة، طهران، سنة ۱٣٩۱: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَ مِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ». و قد أورد هذه الرواية المحقّق الفيض الكاشانيّ في «المحجّة البيضاء» ج ٢، ص ۱۸۷، طبعة مكتبة الصدوق، من كتاب «أسرار الحجّ» بلفظ: «مَا بَيْنَ قَبْرِي وَ مِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ». [↑](#footnote-ref-3)
4. الآية ۸٣، من السورة ٢۸: القصص. [↑](#footnote-ref-4)
5. كان من ضمن كلام السيّد الحدّاد قوله: أنت تأكل ما يلزمك من الغذاء، أمّا ما زاد عليه فإنّ الغذاء يأكلك. [↑](#footnote-ref-5)
6. يقول في «أقرب الموارد»: تَعَنَّتَهُ: أ دْخَلَ عَلَيهِ الأذَي وَ طَلَبَ زَلَّتَهُ وَ مشَقَّتَهُ. يُقَالُ: جَاءَهُ مُتَعَنِّتاً، أ يْ طَالِباً زَلَّتَهُ. وَ- في السُّؤَالِ: سَألَهُ عَلَي جِهَةِ التَّلْبِيسِ عَلَيهِ. وَ رُبَّمَا عُدِّيَ بِـ «عَلَى». [↑](#footnote-ref-6)